

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَهْيَةُ النَّفْسِ لِلْعِبَادَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَ بَعْضَ الشُّهُورِ، بِمُضَايَعَةِ الْأَعْمَالِ وَالْأُجُورِ، سُبْحَانَهُ يَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ، وَيَتَقَبَّلُ عَمَلَ الْمُتَقْبِلِينَ، أَمْرَنَا بِعِبَادَتِهِ حَتَّى يَأْتِيَنَا إِلَيْنَا الْيَقِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، جَعَلَ تَهْيَةَ النُّفُوسِ لِلْعِبَادَةِ سَبِيلًا لِتَحْقِيقِ السَّعَادَةِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا
وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، حَتَّى عَلَى الطَّاعَاتِ وَاغْتِنَامِ الْأَوْقَاتِ بِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ،
وَعَلَى أَهِ وَصَاحِبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالْتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ إِلَيْهِ يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَأُوصِيكُمْ وَنَفْسِي - عِبَادَ اللَّهِ - بِالتَّقْوَى، فَإِنَّهَا سَبَبُ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَى،

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتُؤُلِي أَلَائِبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١)، وَاعْلَمُوا - رَحْمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ النَّفْسَ الْبَشَرِيَّةَ
تَحْتَاجُ إِلَى تَهْيَةٍ صَحِيحَةٍ لِلْعِبَادَةِ وَفِعْلِ الْخَيْرِ، فَالْتَّهْيَةُ النَّفْسِيَّةُ تُسْهِمُ فِي تَطْوِيعِ النَّفْسِ
وَتَرْوِيهِ، لِأَنَّهَا تَسْتَهْضُفُ هَمَّ الْأَفْرَادِ وَتَجْعَلُهُمْ يُخْرِجُونَ الطَّاقَاتِ الْمَخْبُوَّةَ دَاخِلَهُمْ، وَلَقَدْ
جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ عِبَادَةٍ تَهْيَةً تَسْبِقُهَا وَتُثْبِرُ فِي النُّفُوسِ الشُّوَقَ إِلَيْهَا وَالْحَرْصَ عَلَيْهَا، فَالْوُضُوءُ
تَهْيَةٌ لِلصَّلَاةِ، وَالاسْتِعَاذَةُ تَهْيَةٌ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالصَّلَاةُ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ تَهْيَةٌ لِلْدُّعَاءِ،
وَإِعْدَادُ النَّفْسِ بِالْدُّعَاءِ وَالرَّجَاءِ وَكَثْرَةِ الصَّيَامِ فِي شَعْبَانَ تَهْيَةٌ لِشَهْرِ رَمَضَانَ، وَإِنَّ مِنْ أَهْمَّ
الْوَسَائِلِ لِتَهْيَةِ النُّفُوسِ لِلْعِبَادَةِ عِمَارَةُ الْقَلْبِ بِالإِيمَانِ، وَتَجْدِيدُهُ بِالذِّكْرِ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ،
وَالاسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَعَدَمُ الْاسْتِجَابَةِ لِرِغَباتِ النَّفْسِ الدَّاعِيَةِ لِلْعِصْيَانِ، «وَأَمَّا مَنْ
خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ، وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهُوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى»^(٢).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ الْمُؤْمِنَ مُطَالَبٌ بِالْتَّهْيَةِ الْمُتَنَّى لِمَوَاسِيمِ الْخَيْرَاتِ، وَمَا شُرِعَ فِيهَا مِنْ عِبَادَاتٍ، مِنْ
خِلَالِ سِلْسِلَةٍ مِنَ الْبَرَامِجِ الرُّوحِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ، ذَلِكَ لِأَنَّ النَّجَاحَ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَتَطَلَّبُ قُدرَةً

(١) سورة المائدة / ١٠٠ .

(٢) سورة النازعات / ٤٠ - ٤١ .

على تَحْمِيلِ النَّفْسِ الصُّعَابَ وَتَصْبِيرِهَا عَلَى الشَّدَائِدِ، وَمَنْعِهَا مِمَّا تَشَتَّهِي، وَقَدْ كَانَ الْمُصْنُطَفِي حَرِيصًا عَلَى تَهْيَةِ النُّفُوسِ لِلْعِبَادَةِ؛ لِذَلِكَ نَجْدُهُ - وَهُوَ الْقُدوَةُ لِأَمَّتِهِ - يُكْثُرُ مِنَ الصَّوْمِ فِي شَعْبَانَ مَا لَا يَصُومُ فِي غَيْرِهِ مِنْ شُهُورِ الْعَامِ، اسْتِعْدَادًا لِصَوْمِ رَمَضَانَ، فَعَنْ أُمّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لَا يَصُومُ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلَّا شَهْرَ رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ صِيَاماً مِنْهُ فِي شَعْبَانَ)), فَالإِكْثَارُ مِنَ الصِّيَامِ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ تَمْرِينٌ لِلنَّفْسِ عَلَى صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَتَعْوِيدٌ عَلَى أَدَاءِ الْوَاجِبِ بِيُسْرٍ وَسُهُولَةٍ، وَلِذَلِكَ يُسَنُّ فِي هَذَا الشَّهْرِ أَنْ يُقْبِلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَعَمَلِ الصَّالِحَاتِ، مِنَ الصِّيَامِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالإِكْثَارِ مِنَ الصَّدَقَاتِ، لِتَتَاهَبَ نُفُوسُهُمْ لِلِقَاءِ رَمَضَانَ بِقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ، فَعَنْ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ؟ فَقَالَ ﷺ: ((ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفِلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأَحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلي وَأَنَا صَائِمٌ)), فَبَادَرَ النَّبِيُّ الْحَكِيمُ - عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ وَالْتَّسْلِيمِ - بِبَذْلِ الْجُهْدِ وَمُضَاعَفَةِ الْعَزْمِ؛ لِيُوجَّهَ الْأَنْظَارُ إِلَى شَرْفِ الْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ، بِدَوَامِ ذِكْرِهِ وَمَتَابِعَةِ طَاعَتِهِ، بِقِيَامِ لَيْلَهُ مُتَهَجِّداً، وَصِيَامِ نَهَارِهِ مُتَبَعِّداً، مُسْتَجِيبًا لِأَمْرِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنِ اتَّهَى فَتَهَجَّدَ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُودًا﴾^(١)، وَلَا شَكَّ أَنْ إِيقَاظَ الْهِمَةِ نَحْوَ الْعِبَادَةِ يُضَاعِفُ الْأَجْرَ، وَبَيْارِكُ الْعُمْرَ، وَبَرِيقَ بِالْإِنْسَانِ إِلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى.

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَنْالُهَا وَيُدْرِكُهَا كُلُّ مَنْ تَمَتَّعَ بِصِفَاتِ إِيجَابِيَّةٍ، وَأَخْلَاقِ رَضِيَّةٍ وَتَصْرِيفَاتِ سَوَيَّةٍ، تُؤكِّدُ حَقِيقَةَ الْعِبَادَةِ، وَتَرْسُمُ لِصَاحِبِها طَرِيقَ الْخَيْرِ وَتَضَعُهُ عَلَى سَبِيلِ السَّعَادَةِ، لِذَلِكَ كَانَ عَلَى الْمُؤْمِنِ خُصُوصَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْمُبَارَكَةِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَيُبَطِّهَ قَلْبَهُ مِنَ الْغُلُّ وَالْبَغْيِ وَالْحَسَدِ، فَلَا يُضْمِرَ لَأَحَدٍ مِنْ إِخْرَانِهِ سُوءًا، فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا

يَتَقْرِبُ بِهِ الْعَبْدُ إِلَى رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَلَامَةُ الصَّدَرِ مِنْ الشَّحَنَاءِ، وَحُبُّ الْخَيْرِ لِلنَّاسِ، وَأَمْتَلَاءُ قَلْبِهِ بِالرَّحْمَةِ وَالْعَطْفِ عَلَى الْخَلْقِ، وَإِسْدَاءُ النُّصْحِ الْخَالِصِ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَيُّ النَّاسٌ أَفْضَلُ؟ قَالَ: ((كُلُّ مَخْمُومٍ الْقَلْبٌ صَدُوقٌ لِلْلِّسَانِ، قِيلَ: صَدُوقُ الْلِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمٌ فِيهِ وَلَا بَغْيٌ، وَلَا غُلٌّ وَلَا حَسَدًا)). إِنَّ الْعِبَادَةَ تَزَكِّيَّةُ السُّلُوكِ، تَحْمِيَ الْمُسْلِمَ مِنَ الرَّيْغِ وَالْأَنْحرَافِ، فَيَتَعَالَى عَنْ سَفَاسِفِ الْأُمُورِ وَيَتَجَمَّلُ بِالنَّزَاهَةِ وَالْعَفَافِ، فَإِنْ أُوْكِلَ إِلَيْهِ عَمَلٌ أَدَاءُهُ بِإِتقَانٍ، وَإِنْ عَامَلَ النَّاسَ عَامِلَهُمْ بِإِحْسَانٍ، لَأَنَّهُ سَلِيمٌ الْقَلْبٌ عَفْ الْلِّسَانِ، لَا يَمْنَعُ النَّاسَ مِنْ خَيْرِهِ، وَيُحِبُّ الْخَيْرَ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ، فَالنَّفْسُ الْبَشَرِيَّةُ حِينَ يُوجَّهُهَا صَاحِبُهَا الْوِجْهَةُ الصَّحِيحةُ، يُعَوِّذُهَا الْأَفْعَالُ الْحَسَنَةُ وَالْأَقْوَالُ السَّدِيدَةُ؛ فَيُهَبِّيَ اللَّهُ لَهُ بِذَلِكَ حَيَاةً طَيِّبَةً سَعِيدَةً.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَالْزَّمُوا التَّوْبَةَ وَالْاسْتِغْفَارَ؛ لِتَتَّلَوَّا مَغْفِرَةَ الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ، وَأَكْثُرُوا مِنَ الصَّيَامِ وَالْقِيَامِ وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ، لِيَسْهُلَ عَلَيْكُمْ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.

أَقُولُ قَوْلِيَّ هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُكُمْ يَغْفِرُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُ الْكَرِيمُ

* * * * *

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَنْزَلَ كُتُبَهُ وَأَرْسَلَ رُسُلَهُ لِلإخْلَاصِ فِي الْعِبَادَةِ، وَوَعَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْفَوْزَ وَالنَّجَاةَ وَالسَّعَادَةَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، إِمَامُ الْعَابِدِينَ، وَأَفْضَلُ الرَّاكِعِينَ السَّاجِدِينَ، وَعَلَى اللَّهِ وَصَاحِبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالْتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فِيَّا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

طُوبَى لِعَبْدٍ عَرَفَ مَفْهُومَ الْعِبَادَةِ، فَعَمَرَ بِهَا حَيَاةً وَغَذَى بِهَا فُؤَادَهُ، فَالْعِبَادَةُ بِمَفْهومِهَا الْعَامِ تَأْخُذُ بِبَيْدِ الْإِنْسَانِ إِلَى الرُّقْيِّ وَالتَّقْدُمِ لِلأَمَامِ، وَلِمَ لَا؟ وَهِيَ عِلْمٌ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَوَظَيفَتْهُ الْأُولَى، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ»^(١)، وَجَاءَ فِي بَعْضِ الْأَثَارِ

القدسيّة قول الله سبحانه: ((يا عبادي: إني ما خلقتكم لاستأنس بكم من وحشة، ولا لاستكثرة بكم من قلة، ولا لاستعين بكم من وحدة على أمر عجزت عنه، ولا لجلب منفعة ولا لدفع مضرّة، وإنما خلقتكم لتعبدوني طويلاً، وتذكرونني كثيراً، وتسبّونني بكرة وأصيلاً)), ولل العبادة ثمارها اليافة، ونتائجها النافعة، فبالعبادة تُوجَد التقوى وتتحقق، فتتأكد صلة الإنسان بربه وتتوثق، «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُ وَأَرْبُكُمُ الَّذِي خَلَقْتُكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»^(١)، وبالعبادة ينال الإنسان الفلاح، ويُدرك الظفر والنجاح، يقول الله تعالى: «وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»^(٢)، وبالعبادة يؤدي الإنسان شكر رب الذي أسدى وأنعم، وأعطى وأكرم، يقول جل وعلا: «بِإِنَّ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ»^(٣).

فأتقوا الله - عباد الله -، وأخلصوا قلوبكم لله، وتعرضوا لرحمته تعالى باقتداء سنت نبيكم ﷺ؛ فإن ذلك دليلاً على محبتكم لله، ورغبتكم في عفوه ورضاه. هذا وصلوا وسلموا على إمام المرسلين، وقائد الغر المُحَاجِلِينَ، فقد أمركم الله تعالى بالصلاحة والسلام عليه في محكم كتابه حيث قال عز قائلاً عليماً: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَئِكَتَهُ يَصْلُونَ عَلَى أَنَّهِ يَأْمُرُهَا أَلَّذِينَ آمَنُوا صَلَوَاعَلَيْهِ وَسَلَّمُوا سَلِيمًا»^(٤).

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت وسلمت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد، وارض اللهم عن خلفائه الراشدين، وعن أزواجهم أمهات المؤمنين، وعن سائر الصحابة أجمعين، وعن المؤمنين والمؤمنات إلى يوم الدين، وعن معهم برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم اجعل جمعنا هذا جمعاً مرحوماً، واجعل تفرقنا من بعده تفرقًا مغضوماً، ولا تدع فيينا ولا معنا شقياً ولا محرومًا.

(١) سورة البقرة / ٢١.

(٢) سورة الحج / ٧٧.

(٣) سورة الزمر / ٦٦.

(٤) سورة الأحزاب / ٥٦.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالغِنَى.
 اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًا مِنَا لِسَانًا صَادِقًا، وَقَلْبًا خَاسِعًا، وَعَمَلاً صَالِحًا، وَعِلْمًا
 نَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا، وَرَزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.
 اللَّهُمَّ أَعْزَزِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحْدَ اللَّهُمَّ صُفُوفُهُمْ، وَأَجْمَعُ كَلْمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَكْسَرُ
 شَوْكَةَ الظَّالَمِينَ، وَأَكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.
 اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ،
 وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَغْيِثُ أَلَا تَكُلُّنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ، وَأَصْلِحْ لَنَا
 شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأنَ الصَّالِحِينَ.
 اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعْزَزْ سُلْطَانَنَا وَأَيْدِيهِ بِالْحَقِّ وَأَيْدِيهِ بِالْحَقِّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ،
 اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيْدِيهِ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعِينِ رِعَايَتِكَ.
 اللَّهُمَّ أَنْزَلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي
 ثِمَارِنَا وَزَرْوُعَنَا وَكُلْ أَرْزَاقَنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.
 رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.
 اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ
 سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعُدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ
 وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

